وهكذا نرى شاعرنا يعيد، في هذه الدعوة، سيرة صحبه من جيل الشعراء السابق عليه (ابراهيم طوقان، وعبد الرحيم محمود وسواهما)، إذ نقرأ في شعره هذه الغصص التي يتجرعها مع شعبه بسبب ما يراه من اخطار تحدق بالوطن، ويحس وقع دبيبها يقترب من اوقات الحسم والبلاد منقسمة على نفسها. ومع ان مثل هذه الأحاسيس تظل تطارد الشاعر، الا أنه من الملفت للنظر انه، بنفسه الحاسة المرهفة، وبشعوره بالمسؤولية والاخلاص في مثل تلك الأجواء تراه يستغل مناسبات الأعياد المفرحة في ذاتها، ليخاطب الشعب ويعلن عليه حرمانه المأساوي من تلك الأفراح، بسبب اوضاع البلاد التي تؤرقه، ولا تغيب عن باله، فهو يقول في مقطوعة عيدي:*

يهنئني بالعيد من ظن ان لي ... سوى برء اوطاني الجريحة عيدا
ارى الشرق مطوي الفؤاد على الأسى ... فلا عيد الا ان اراه سعيدا(٣٣)

وتحت عنوان «عيد البلاد»، بمناسبة عيد الفطر لسنة ١٣٦٣ هـ، يقول:

ليس هذا اليوم يا قومي بعيد ... من رأى في صبحه وجه عداد؟
انما عيد لياليننا السعيد ... يوم تدنو من امانيها البلاد
لا تظنوا العيد براق الثياب ... من ثمين الخز... او غالي الحرير
انما العيد اذا نادى الشباب ... وطن اثقله العادي المغير
ان يلبي الموت كالأسد الغضاب ... يوم يدعونا الى الموت النفير
ايكون الجسم في ثوب جديد ... وأماني الروح في ثوب الحداد؟!(٣٤)

وعلى الرغم من ان مثل هذه المناسبات تحكم الشاعر وتفرض على شعره ما تحسه من علو في نبرته، وخطابية في صوته، على عادة شعر المناسبات والمحافل، فاننا نرى حسن البحيري متيقظا على الواقع، كما هو متيقظ على الماضي الذي يرى انه لا يرفع الإصر عن البلاد اذا ما اكتفى الناس بالركون الى امجاد الأجداد التي يجب ان تكون فقط دافعة الى العمل، وحافزة للهمم:

ما فخرنا يوم التفاخر قولنا ... كان الأوائل في الزمان الخالي
بل فخرنا ما شيدته لنا يد ... مشهودة الاحسان والأجمال(٣٥)

ومع اكبارنا لروح حسن البحيري الوطنية التي نراه يتحول اليها في هذا الديوان، الا اننا لابد ان نلاحظ ان شاعرنا، بهذا التحول، وهو يذوب في القضايا الوطنية العامة، بدأ يفقد الكثير من رومانتيكيته الحالمة. والأهم من ذلك أنه بدأ يفقد كثيرا من سمات التفنن التي كنا نلاحظها في شعره في ديوانيه السابقين، وبخاصة في «افراح الربيع»، من غنائية رقيقة، ومن حرية التنويع في الايقاعات والانغام، مما كان يشي بامكانات فنية وافرة ترهص بشاعر ربما كان قادرا على الوقوف على اعتاب التجديد في الشعر، او ولوج أبوابه الى جانب شعراء التجديد الرواد، من امثال المرحوم بدر شاكر السياب ونازك الملائكة وعبد الوهاب البياتي. وأنا أميل الى الظن ان هذا الانشغال النفسي العميق بالمسائل الوطنية وما يتصل بها من محفليات، والاخلاص في هذا الانشغال الى حد الفدائية(٣٦)،

---

* يقول الشاعر عن المقطوعة هذه: كتبت هذا الجزء من المقدمة، دونما ترتيب سابق، في صباح عيد الفطر ١ شوال ١٣٩٨ هـ الموافق ١٩٧٨/٩/٣. ولكم أراه يصور نظرتي للواقع وأمور الوطن منذ سنوات طوال.